مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (٦)، العدد (٢)، ص ص ٨٣٧-٨٧٧، (رجب ١٤٣٤هـ/ مايو ٢٠١٣)

الروح الدينية تجسّد الحملة الصليبية الأولى

د. عبد المعز بني عيسى
قسم التاريخ ، جامعة اليرموك

ملخص البحث. هدفت هذه الدراسة إلى تناول أثر الروح الدينية في قيام الحملة الصليبية الأولى، وتوضيح الدور الذي قامت به البابوية في استغلال عواطف المسيحيين الأوربيين، وتأليب مشاعرهم المملوءة بالحقد والكراهية تجاه المسلمين على شكل حرب صليبية منظمة دعت إليها البابوية، وذلك من خلال استخدام مسألة الغفران من الذنوب والخطايا التي انبثقت عنها فكرة عسكرة الحج إلى الأراضي المقدسة، كوسيلة لإذكاء النار الصليبية داخل المجتمع الأوروبي المسيحي. واستغلال البابوية أيضا للظروف السيئة التي أحاطت بالإمبراطورية البيزنطية على إثر الهزيمة التي تعرضت لها في معركة ملاذكرد سنة ١٠٧١م. وتشير الدراسة إلى صورة مسيحيي الشرق في أوروبا خلال العصور الوسطى، وأثرها في تجييش العواطف الأوروبية، واستغلالها في انبعاث الحملة الصليبية الأولى.

المقدمة

تعرضت أوروبا في الفترة التي سبقت قيام الحروب الصليبية إلى سلسلة من الأحداث تراكمت عبر السنين، وأثرت سلبا على مجرى التاريخ الأوروبي، في الوقت الذي سلكت فيه الامبراطورية البيزنطية طريقا مسدودا نحو إقامة علاقات مع البابوية وأباطرة وملوك الغرب الأوروبي لانشغالهم بالحروب جراء النظام الاقطاعي الذي قوّض أركان المجتمع الأوروبي، ونشر فيه الفقر والبطالة والجهل. ولم يسمح للمسيحيين الذهاب إلى المدارس ،واقتصر التعليم على أبناء النبلاء ورجال الدين،كما خلّف نظام الإقطاع ظلما اجتماعيا اكتوى بناره الفلاح الأوروبي.

وقد تمخض عن النظام الاقطاعي الأوروبي بيئة خصبة من سوء الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية،استغلتها البابوية في إثارة الوازع الديني بين الفلاحين الأوروبيين، ثم عسكرتهم ،وأشبعتهم بالأحقاد الدينية ضد العروبة والإسلام وحضارته ، لتحقيق فكرة تداولتها البابوية تمثلت بتزعمها العالم المسيحي والقضاء على الاسلام والمسلمين، ولإخراج هذه الفكرة إلى حيز الوجود فقد دعت إلى الإعداد للحروب الصليبية معتمدة في ذلك على الأحقاد الدينية التي غرستها في نفوس أبناء الغرب .

وقد استفادت الكنيسة الكاثوليكية من حالة الفوضى والهوان التي وصل إليها العالم الغربي جراء سوء الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وسيطرت على أباطرة وملوك وأمراء الغرب،وأصبحت الى جانب الدين قوة كبيرة أرعبت الأباطرة والملوك، وأنزلت أشد العقوبات عليهم إذا ما قاموا بمخالفة تعاليم الكنيسة.

وساعد انحطاط الحياة الاجتماعية في المجتمعات الغربية على تغلغل رجال الدين بين العامة رافعين شعار الرحلة إلى الشرق باعتباره مكان صلب المسيح وقيامته حسب المعتقد المسيحي، ومنارة للعلم والمعرفة، وذلك الشعار الذي ترجم في الظاهر إلى فكرة الحج إلى الديار المقدسة، وإن كانت سابقة لفترة قيام الحملة الصليبية الأولى، على اعتبار أن المحرك الاساسي للبابوية والغرب كانت التقارير التي يرسلها حجاج بيت المقدس قبيل الحملة الصليبية الأولى ، وعلى رأسهم تقارير بطرس

الناسك. وفي الباطن بسط سيادتهم عليه واستغلال خيراته واستعباد أهله وتدنيس المقدسات الإسلامية ورفع شعار حرب الاسلام والمسلمين، وقد تطور الشعار الظاهر حتى تمخضت عنه الحرب المسيحية المقدسة تجسدت بالحملة الشعبية والصليبية الأولى. وقد ساعد على قبول هذا الشعار عقول الغربيين.حيث كانوا مهيئين لقبول الأفكار التي نادت بها الكنيسة الكاثوليكية، والتي تمثلت بغسل الذنوب والخطايا والتطهر منها بالذهاب إلى الشرق ومساعدة المسيحيين الشرقيين وتحريرهم من أيدي حكام المسلمين الذين صورتهم البابوية بأبشع الصور وسوء الحال في تعاملهم مع المسيحيين الشرقيين.

أوضاع الكنيسة الغربية قبيل الحملة الصليبية الأولى

تأثرت الكنيسة الكاثوليكية خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين بالنظام الإقطاعي الذي ساد في معظم بلدان أوروبا، وتحولت معظم ممتلكاتها الزراعية إلى إقطاعات ، سيطر عليها بعض رجال الدين الذين حققوا من خلالها مكاسب مادية دون الالتفات للأخذ بمبادئ الديانة المسيحية التي ركزت على نشر السلام بين الناس، وأخذ الأمراء الأوروبيون يتناحرون واحدهم مع الآخر في حروب لا تنقطع[١]، وقد أدى ذلك إلى انتشار المفاسد وقطاع الطرق واللصوص، وانتشرت في أوروبا حالة من الفوضى والاضطراب، قلّصت من قدرة الحكام في السيطرة على البلاد، وإحلال السلام. وقد أكد ذلك البابا أودو ((Otho De Lagery الملقب بأوروبان الثاني (Urban II (1088 – 1099م) [٢] في خطبته

(١) الشارتري، فوشيه، تاريخ الحملة إلى القدس؛ ترجمة :زياد جميل العسلي، دار الشروق ، عمان، 1990،ص 31.

(٢) البابا أوربان الثاني ، فرنسي الأصل، اسمه الأصلي (أودو)، ولد عام ١٠٣٥م، انتخب لمنصب البابوية في روما عام 1088م، واستمر حتى عام ١٠٩٩م وهو من طوّر الإصلاحات الكنسية التي بدأها البابا جريجوري السابع، وعقد مجلس كليرمونت سنة 1095م، وهو من أطلق الدعوة إلى الحروب الصليبية وعمل على تقوية البابوبة ككيان سياسي .انظر:، The New Encyclopedia Britannic , International Union,U.S.A, 1979, Vol. 12,p. 198

المشهورة في مجمع كليرمونت(Conncil of Clermont) عام ١٠٩٥م [٣]،قائلا:" يا إخوتي الأحباء إنكم رأيتم العالم وقد عاث فيه الشر فسادا لأمد طويل وخاصة في بعض نواحي مقاطعاتكم..كما قيل لنا ولربما سبب تقصيركم في إحقاق العدل أن لا يكاد يجرؤ أحد على السفر في الطرقات مؤملا السلامة خوفا من الخطف على يد قطاع الطرق في النهار، أو اللصوص في الليل، فهو معرض للعنف أو الاغتيال سواء كان في داخل المباني او خارجها" [٤].

وهذا مخالف لمبادئ الديانة المسيحية وتعاليم المسيح، وما أكد عليه من نشر التسامح والعدل بين الناس ولذلك ذهب البابا أوربان الثاني، إلى تعنيف الأساقفة، ولم يشأ تسميتهم بالأساقفة خوفاً من الإساءة إلى الدين، كونهم ارتكبوا حماقات في الحروب، وكانوا أكثر سفكاً للدماء المسيحية، في حين عهد البعض الآخر منهم إلى وكلاء للقيام بأداء الخدمة العسكرية الإقطاعية. [٥]

وكان أمراء الإقطاع قد تولوا مهمة تعيين الأساقفة داخل حدود الإقطاعات التابعة لهم، الأمر الذي أحدث ضرراً كبيراً بالوظيفة الروحية للكنيسة الكاثوليكية[٦]. ثم دخلت الكنيسة معهم في صراعات حول ما إذا كانت هي صاحبة الحق في تحديد استخدام أملاك الكنسية، ولجأ البابا إلى معاقبة كل من تسوّل له نفسه الاعتداء على الأساقفة بالضرب

مجمع كليرمونت :مجمع كنسي دعا إلى عقده البابا أوربان الثاني سنة 1095م، للبحث في إصلاح الكنيسة .أنظر البعلبكي، منير، موسوعة المورد العربية، دار العلم للملايين، بيروت، 1990، مج2، ص 977.

(٤) الشارتري تاريخ الحملة، ص 35 .

(٥) الشارتري، تاريخ الحملة، ص 31؛ ماستناك، توماس، السلام الصليبي (الجماعة المسيحية والعالم الإسلامي)؛ ترجمة :بشير السباعي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003م، ص 29.

(٦) الشارتري، تاريخ الحملة، ص ٣١-٣٥؛ كانتور، نورمان، التاريخ الوسيط، (قصة الحضارة، البداية والنهاية)؛ ترجمة :قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، 2002م، ج1، ص ٢٢١-٢٢٢؛ كينيث، سيتون، تاريخ الحروب الصليبية؛ ترجمة :سعيد البيشاوي، بيت المقدس، 2004م، ص 31؛ ماستناك، السلام الصليبي، ص 29.

والتهديد والاختطاف، والاعتداء على الكنائس باللعنة والطرد من رحمة الكنيسة، والحرمان من دخولها (٧).

وظلت هذه الصراعات قائمة بين الطرفين في الفترة ما بين القرنين السادس والحادي عشر الميلاديين، لذا طالب البابا أوربان الثاني صيانة حرية الكنيسة(٨)، والحفاظ على شرائعها، وعدم السماح للمتاجرة بالدين حتى لا تنتشر بين المسيحيين شرائع جديدة؛ لأن الكنيسة واجهت ابتداءً من القرن الحادي عشر الميلادي ظهور حركات الهرطقة(٩) التي كانت بمثابة العدو الداخلي للكنيسة، مثل جماعة الكاثاري*،(Cathari Groub) وأصحاب الهرطقة الألبيجينية (Eleginc Sophism). (١٠) الأمر الذي دفع الكنيسة فيما بعد إلى إرسال حملات عسكرية مسلّحة للقضاء على تلك الجماعات، ولا شك أن إحساس الكنيسة بأنها مهددة ساهم في تصعيد حمى الحرب(١١)، ودفع البابا أوربان الثاني إلى الطلب من رجال الدين مراعاة شؤون الكنيسة،" حتى لا

---

(٧) الشارتري، تاريخ الحملة، ص 34.

(٨) الشارتري،تاريخ الحملة، ص 33.

(٩) الهرطقة : مصطلح كنسي يشير إلى رأي أو فكرة مبتدعة، تتعارض مع معتقدات الكنيسة الكاثوليكية، وكانت الكنيسة تعاقب المهرطقين بالنفي أو التعذيب أو حتى الموت. انتشرت في فرنسا وأخذت تدعو إلى الإيمان بوجود إلهين (إله الخير وإله الشر) وتأثرت بالفكر الفلسفي الإغريقي الذي وجد عند أفلاطون وأرسطو. انظر: الموسوعة العربية العالمية،مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر،الرياض،١٩٩٦م، ج26، ص.95؛
The Encyclopedia America, Grolier Incorporated , U.S.A, 1986,vol 25.p228.

(١٠) ماستناك، السلام الصليبي، ص ١٧، ٤٤، ٥٣؛ المسيري، عبد الوهاب محمد، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ، دار الشروق، القاهرة، 1999م، ج 6 ص١٢٤-١٢٦.

* الكاثاري : حركة شعبية ظهرت في أوروبا في القرن الثاني عشر الميلادي ، وتعد من أخطر الهرطقات في العصر الوسيط على الإطلاق ،ومن أهدافها الإصرار على إصلاح مفاسد الكنيسة ومباذلها. انظر: عوض، رمسيس، الهرطقة في الغرب، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ١٠٤-١٠٥.

(١١) المسيري، موسوعة اليهود، ج6، ص١٢٦.

تضرب مدافعات المتاجرة بالدين جذورها بينهم، فينقادوا تعساء إلى الهلاك الرباني".(١٢)

ولم يكن خطاب أوربان إلاّ نتاج تراكمات لرجال الدين، الذين ارتكبوا فضائح، ووجهوا الشرائع المسيحية لتحقيق مصالحهم، فعم الفساد الاجتماعي وتطاول السادة ورجال الدين على أتباعهم، وارتكبوا حماقات أعلنها البابا أوربان على الملأ أثناء خطابه في مجمع كليرمونت عام ١٠٩٥م. فقد توفي البابا يوحنا الثاني عشر(963 – 955) (pjohn XII) (١٣) نتيجة إفراطه الجنسي، فاستشاط الأسقف الإيطالي رازاريوس (Rasarius) غضباً، ووبخ الكهنة و رجال الدين باقترافهم الزنا خروجاً على الشريعة المسيحية و القوانين الكنسية(١٤)، ولم يختلف بقية رجال الدين عن البابوات، بسبب إهمالهم لواجباتهم، فقد وصفهم وليم الصوري(William Of Tyre): "كلهم كلاب بكمْ لا تقدر أن تنبح" إذ أصبح الزنا يمارس علانية، دونما حياء وكأنه عملٌ شرعي. فالرذيلة تربعت على قمة هرم المجتمع الأوروبي، وعم الفساد البشرية (١٥)، والمؤسسة البابوية بصفة خاصة، والكنيسة بصفة عامة، ولذلك فإن معظم البابوات ورجال الدين، لقوا حتفهم في الكثير من حوادث القتل والاغتيالات بسبب انخراطهم بالملذات، وترك واجباتهم الدينية. الأمر الذي يفسر مدى الضعف والهوان الذي وصلت إليه البابوية من جهة، وسعي أبناء النبلاء

---

(١٢) الشارتري، تاريخ الحملة، ص 33.

(١٣) يوحنا الثاني عشر (John XII) : تولى منصب البابا في الفترة ما بين (٩٥٥–٩٦٤م) وهو الابن الوحيد للدوق البيرك الثاني في إيطاليا، ثم أصبح حاكماً لروما، وهو من أمر بالانتخابات عندما كان يبلغ في العمر ١٨ عاماً، اسمه الأصلي أو كتافيان، ثم غيره إلى يوحنا، ولد عام ٩٣٧م وتوفي عام ٩٦٤م (تم خلعه فترة قصيرة من منصبه على يد الإمبراطور الروماني أوتو الأول .بعد أن اتهمه بحياكة مؤامرة ضد روما ، انظر:

Britannica Encyclopaedia , vol. V,p.577

(١٤) ماستناك، السلام الصليبي، ص 29.

(١٥) الصوري،وليم تاريخ الحروب الصليبية، (تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار)؛ ترجمة :سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1990، ج1، ص١٥٦–١٥٧

إلى اعتلاء عرش البابوية، لأسباب تتعلق بمصالح الأسرة وسياستها من جهة أخرى.كما لعبت المنافسة بين العائلات الأرستقراطية في الحصول على كرسي البابوية بالأموال وجعله وراثياً، دوراً كبيرا في إضعاف البابوية، وإضعاف سيطرتها على العالم المسيحي الكاثوليكي، لاسيما بعد أن أصبحت الوظائف الكنسية يتم شراؤها بالأموال، وأصبحت أحوال الكنيسة تبعث على الرثاء.(١٦)

ازدادت أحوال الكنيسة سوءًا بسبب قيام رجال الدين بنشر الخرافات وأخبار المعجزات والكرامات داخل المجتمع الأوروبي، فقد اعتبرت من أساطير الألفية التي تقضي بأن الدورة الكونية تستغرق ألف عام، وبذا فإن دعوة المسيح تكون في القرن الحادي عشر الميلادي (١٧)، وقد عملت الكنيسة على نشرها، حيث سادت الفكرة بنزول المسيح للمرة الثانية على الأرض، وأن "نهاية العالم ستكون على رأس سنة ألف ميلادية ، وأن المسيح سيظهر للمؤمن به" الأمر الذي جعل الناس يتقربون من الله، ويعملون على مرضاته بالتكفير عن خطاياهم ومعاصيهم. (١٨)

وقد ترتب على هذا الأمر هجرة أعداد كبيرة من عامة الناس في أوروبا إلى الشرق الإسلامي أملاً في التكفير عن خطاياهم بملاقاة السيد المسيح في الديار المقدسة، وقد أدرك حكام الدولة الفاطمية الأمر و ما كان يرمي إليه رجال الدين في الغرب الأوروبي، وهو تهجير الناس من أوروبا إلى الأراضي المقدسة بهدف اجتياح واحتلال الأراضي المقدسة، ولذلك اتخذ الحاكم بأمر الله* عدة تدابير قاسية بحق المسيحيين الشرقيين وكنائسهم بهدف الحد من فكرة ظهور المسيح، ونهاية العالم، ومنع هجرة

---

(١٦) الصوري، الحروب الصليبية، ج1، ص١٥٧؛ كانتور، التاريخ الوسيط، ج1، ص ٣٠٣-٣٠٩

(١٧) المسيري، موسوعة اليهود، ج6، ص 126.

(١٨) عاشور، فايد حماد، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981م، ص 78؛ جوزيف، يوسف نسيم، في تاريخ الحركة الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989، ص 25؛ كينيث، تاريخ الحروب، ص ٣١-٣٢؛ ماستناك، ص ٤٨-٤٩؛ المسيري، موسوعة اليهود، ج6، ص 126.

الناس إلى الأراضي المقدسة ، فهدم العديد من الكنائس وعلى رأسها كنسية القيامة، ومنع بيع العنب والرطب كي لا يتمكن المسيحيون من صناعة الخمر، وخرّب الكروم، وأمر المسيحيون بلبس الصلبان الثقيلة في رقابهم، وأفرد لهم الحمامات الخاصة بهم. (١٩) و شدّد عليهم في لباسهم، ومنعهم من ممارسة شعائرهم الدينية، والاحتفال بأعيادهم، وصادر أموال الكنائس ورجال الدين، وكتب إلى عماله في البلاد أن يقوموا بنفس العمل مع النصارى في البلاد(٢٠).

وقد أدى التقارب الذي حصل بين المسيحيين من رجال دولة الحاكم بأمر الله، المعتمد عليهم في إدارة الدولة، وبين رجال الدين في الغرب ، الوصول إلى المناصب العليا في الدولة الفاطمية، وحيازة الأموال، فاشتد بأسهم وتزايد ضررهم، ومكايدهم للمسلمين، هذه السياسة أثارت غضب الحاكم بأمر الله ، فقبض على وزيره المسيحي عيسى بن نسطورس النصراني وكاتبه فهد بن إبراهيم النصراني عام ٣٨٧ هـ / ٩٩٧م ، وضرب عنقيهما. (٢١) وقد أدت إجراءات الحاكم بأمر الله الى الحد من هجرة المسيحيين إلى الشرق الإسلامي، وقلّصت من سطوتهم في البلاد. غيرانها حركت الشعور الديني عند رجال الدين في الغرب، واستخدموها في إثارة المسيحيين، وتحريضهم للقضاء على العالم الإسلامي وحكامه

---

(١٩) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء؛ تحقيق :إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت 1983، ج15، ص 174؛ عاشور، جهاد المسلمين، ص 78؛ جوزيف، في تاريخ الحروب، ص 25؛ كينيث، تاريخ الحروب، ص ٣١-٣٢، ٨١-٨٣؛ ماستناك، السلام الصليبي، ص ٤٨-٤٩؛ عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو، القاهرة ، ط3، ،1978م ج1، ص ٢١ .

* الحاكم بأمر الله(٣٧٥-٤١١هـ /٩٨٥-١٠٢١م) : منصور ابن العزيز ابن المعز لدين الله العبيدي، من خلفاء الدولة الفاطمية في مصر ، تولى الخلافة سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م ، وأعلنت الدعوة الى تأليهه سنة =٤٠٧هـ/١٠١٧م. انظر: الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٧٩م، ج٧، ص ٣٠٥.

(٢٠) المقريزي،ابو العباس تقي الدين احمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط و الآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م، ج 4، ص ٧٤-٧٥.

(٢١) الذهبي ، أعلام النبلاء، ج15، ص 195؛ ؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار ، ج4، ص ٧٥.

من خلال الدعوة إلى حرب صليبية. استمر الفساد الكنسي الكاثوليكي في الغرب الأوروبي، حتى ظهر الإصلاح الكلوني[٢٢]. حيث دعا البابا للإصلاح والقضاء على الفساد ، عن طريق رفض قبول الأراضي المشروطة بالخدمة العسكرية، وقد بدأ الإصلاح البابوي بتولي ليو التاسع (Leo IX) (1048/1054م)منصب البابوية، فقد سيطر على كافة الأمور داخل الكنيسة، وإصدار مجموعة من القرارات حارب من خلالها السيمونية[٢٣]، وقضايا زواج رجال الدين، والعنف والانحلال الأخلاقي، وقام البابا ليو التاسع بإصدار مرسوم انتخابي يقضي بجعل مسألة اختيار البابا من مهام مجلس الكرادلة (The Sacred College of Cardinals) [٢٤] فقط.

وقد ساعدت الحرب التي قادها البابا ليو التاسع ضد النورمان في جنوب ايطاليا عام ١٠٥٣م، على زيادة سلطته داخل الكنيسة الكاثوليكية، وإرسال مندوبيه إلى أنحاء العالم المسيحي من أجل تأكيد سلطاته، الأمر الذي نتج عنه ظهور الصراع على السلطة بين الكنيسة والدولة عام ١٠٧٣ م في عهد البابا جريجوري السابع (Gregory VII)(1073- 1085 م)،

---

(٢٢) عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص ٢٠-٢١؛ المسيري، موسوعة اليهود، ج6، ص126، سميث، جوناثان رايلي ، الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحورب الصليبية؛ ترجمة :محمد فتحي الشاعر، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ط2، 1999م، ص 16.

(٢٣) السيمونية -:استحصال أو بيع الأمور المقدسة بواسطة المال .وتنسب إلى سيمون الساحر .وفي نظر الكنيسة تعد السيمونية من أعظم الذنوب وأهمها، وهي أشبه بالرشوة في الأمور الدينية .أنظر :البستاني، بطرس، دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت،)د .ت(، مج 10، ص 349.

(٢٤) مجلس الكرادلة (The Sacred College of Cardinal):مجلس يعين البابا أعضاؤه، الذين يعتبرون مستشاريه الرئيسيين، ومعاونيه المقدمين في إدارة شؤون الكنيسة الكاثوليكية، ويرتدي الأعضاء أزياء حمراء متميزة، كما يعرفون بأمراء الكنسية. وهناك إجماع بين الباحثين على أن اسم كاردينال استخدم لأول مرة خلال الغزوات البربرية على غرب أوروبا، للدلالة على الأسقف، كما أطلق هذا اللقب على شمّاس الكنسية في المناطق السبعة في روما منذ بداية القرن السادس عشر. ومن أبرز مهام المجلس هو انتخاب البابا الجديد. انظر:

Britannica Encyclopadia, Vol. 11, P.560

حيث أنكر على الأمراء دورهم في إشعال نار الحروب من أجل هدم النظام المسيحي الصحيح. (٢٥)

وإذا كانت حملات الإصلاح البابوية في الفترة ما بين عام ١٠٧٥م وحتى أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، قد دعت إلى وقف العنف المسلح في مناطق الغرب الأوروبي، فإن تلك الحركة الإصلاحية ظلت مرهونة بالبابا الذي كان بمثابة المصلح الأول؛ فليو التاسع لم يكن باستطاعته تجنّب استخدام العنف في حربه ضد النورمانديين، علماً بأنه صرّح وإلى جانبه البابا جريجوري السابع إن الهدف من وراء حشد الجيوش، إجبار النورمانديين على الاستسلام دون إراقة الدماء(٢٦).

كانت هذه الحرب ضد الوثنيين الذين دمروا الكنائس، وقتلوا المسيحيين، فتحولت على أيدي البابوات إلى حرب مقدسة، مستمدة تقديسها من الرب، وقد عوّل بابوات الإصلاح على استخدام العنف، واعتبروه مشروعاً مباحاً من أجل تحرير المسيحية وحماية أتباع المسيح(٢٧)؛ فقد قال البابا ليو التاسع:" يجب تقوية الإيمان بشكل قوي، ولا مجال للشك، بأن كل من مات من أجل الحق ستتساوى منزلتهم بمنزلة الشهداء"، وأيده الرأي البابا جريجوري السابع ،(٢٨) ومن أجل القضاء على السلاجقة عام ١٠٧٤م، أعلن البابا جريجوري السابع" إن من مات من أجل بلادنا فإن ذلك شيء نبيل، والأكثر نبلاً وتقديراً أن نضحي بأجسادنا ودمائنا من أجل المسيح الذي يعيش حياة أبدية". (٢٩) وقد

---

(٢٥) عاشور، جهاد المسلمين ص 78؛ كينيث، تاريخ الحروب، ص 83 – 81؛ ماستناك، السلام الصليبي، ص 32، 41.

(٢٦) Housley, Norman, Crusades against christens ,Crusade and settlement, Peter W. Edbury, University college Cardiff press, Cardiff, 1985 , p. 17

(٢٧) عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص ١-٢ ؛ Housley, op.cit, P.18.

(٢٨) Housley, op.cit, p. 18.

(٢٩) Cowdrey, H. E. j., Martyyrdom and the First crusade, crusade and settlement. peter w. Edbury, University college Cardiff press, Cardiff, 1985, p. 48

اعتبر جريجوري بسبب هذه التصريحات بطلاً للكنيسة الكاثوليكية، وارتفع شأنه بين ملوك أوروبا. (٣٠)

بلغت البابوية في القرن الحادي عشر الميلادي درجة كبيرة من القوة، حيث اتسعت سلطاتها ونفوذها السياسي، وفتح المجال أمام البابا أوربان الثاني (١٠٨٨ – ١٠٩٩م) ليصبح الزعيم الروحي لكافة الشعوب المسيحية في الشرق والغرب(٣١)، ومكنته من تحقيق أهدافه في السيطرة على العالم الغربي المسيحي، و إعداد حملة صليبية نحو العالم الإسلامي، تمثلت بالحملة الصليبية الأولى سنة ٤٩١هـ/١٠٩٥م، وما حققته تلك الحملة من انتصارات على المسلمين، تبريرا لمطالب البابا بتزعم العالم المسيحي، و إنهاء الصراع ما بين الإمبراطورية البيزنطية والبابوية ، وذلك عن طريق ترجيح كفة ميزان القوة نحو البابوية بعد الاستيلاء على القدس التي كانت مطلباً روحياً للمسيحيين في العالم اللاتيني. (٣٢)

غفران الذنوب ودوره في إذكاء النار الصليبية

ارتبط بالحج الأوروبي إلى الأراضي المقدسة، مسألة الغفران الذي منحه البابا أوربان الثاني في مجمع كليرمونت لعامة المسيحيين(٣٣)، حيث قال: " إنني أخاطب الحاضرين، وأعلن للغائبين وعلاوة على ذلك فإن يسوع المسيح يأمر بما يلي :كل من يذهب إلى هناك سوف تغفر له خطاياه إذا ما واجه حتفه زاحفاً في البر أو عابراً البحر، أو مقاتلاً الكفار، أنني أمنح هذا لكل من يذهب مستمداً السلطة من القوة التي وضعها الله

---

(٣٠) Cowdrey, op.cit, p. 48.

(٣١) ماستناك، السلام الصليبي، ص 16؛السرجاني، راغب،البابا أوربان الثاني، http://www.lslamstory.comp.1
Housley, op.cit ,p.21;

(٣٢) France, John, victory in the East: Amilitary history of the first,Cambridge University press, Cambridge, 1994, p.2

(٣٣) ماير، هانس، تاريخ الحروب الصليبية؛ ترجمة :عماد الدين غانم، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، 2009، ص٣١ .; Housley ,op.cit, p.19

فيّ" [٣٤]. منح البابا اوربان (Urban II)بعباراته هذه المسيحيين المشاركين في الحملة امتيازات روحية تمثلت بغفران كل ما تقدم وما تأخر من الذنوب التي اقترفوها في حياتهم، بالإضافة إلى دخولهم الجنة دون حساب[٣٥]. ولم تكن مسألة الغفران الجزئي أو الكلي للذنوب وليدة خطبة أوربان الثاني، وإنما سبق وإن أثيرت في عهد البابا جريجوري السابع، عندما تعرض للنقد الشديد من قبل خصومه حول من يقاتل من المسيحيين، وهل الحصول على الغفران للذنوب كاملاً أم ناقصاً؟، وهل يحق للبابا إعطاء رخصة لارتكاب ذنوب أخرى أم لا؟، واعتبره معارضوه قد فتح باباً من الشر أمام الجنس البشري لاقتراف الجرائم والذنوب، باسم الدين. [٣٦]

شحنت كلمات البابا أوربان الثاني همم الأوروبيين، وخاصة الطبقة العامة المعدومة في مناطق شمال وجنوب فرنسا، و المناطق التي لم يزرها البابا مثل بولندا ،إذ وجد سكانها في الغفران، فرصة للتخلص من ظروف الحياة القاسية، آملين الحصول على الشهادة من خلال المشاركة في الحملة الصليبية، والقتال من أجل المسيح، وقد جاء الغفران استجابة لتوق الناس إلى الخلاص الدنيوي من جهة، وتحقيق أهداف البابوية نفسها من جهة أخرى. [٣٧]

وقد استطاع البابا تحقيق النجاح في استمالة الشعوب الأوروبية ، وعن طريق الدعاة الذين روَّجوا لمرسوم الغفران الصادر عن مجمع كليرمونت عام ١٠٩٥م، وكانوا قد أعطوه تفسيرات كثيرة تعدّت حدود مفهومه الضيق في بداية الأمر. [٣٨] ويقول ماستناك إن فكرة الحرب

---

(٣٤) الشارتري، تاريخ الحملة، ص 36؛ قاسم، عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، 2006م، ص 28.

(٣٥) سميث، الحروب الصليبية، ص 13؛ رنسيمان، ستيفن، الحملات الصليبية من كلير مونت إلى أورشليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994م، ج1، ص 154؛ ماستناك، السلام الصليبي، ص 91.

(٣٦) Housley, op.cit, p.19

(٣٧) قاسم، ماهية الحروب، ص 28-29؛ France, op.cit, p.4

(٣٨) قاسم، ماهية الحروب، ص 29؛ رنسيمان، الحملات الصليبية، ج1، ص 159 .

الصليبية لم تكن واضحة قط، فقد كانت في بداية عهدها عبارة عن عجينة من الصور والمعتقدات والخيالات والتوقعات والمشاعر، ولم يكن بمقدور الذين انضموا إليها من الرجال والنساء والأميين صياغة مفهومها وتفسير ما كانوا يقومون به، وما قاموا به(٣٩) .

اعتمدت الكنيسة في قيادة الجماعات المسيحية نحو الخلاص في أواخر القرن الحادي عشر على رهبانية إصلاحية تحافظ على الصلة بين العالم الدنيوي والعالم القدسي، وكان هدف الرهبان مساعدة عالم المحاربين على التحرر من خطيئة القتل والعنف، من خلال العمل في أشكال جديدة كالصدقة، و الحج الذي يغفر للخاطئ النادم جميع ذنوبه، وإسقاط العقاب عنه(٤٠)، وتحريك مشاعر المسيحيين الدينية في الذهاب إلى مدينة القدس المقدسة، التي سقطت بيد المسلمين عام((٦٣٨م وتحريرها(٤١) .

أخذت الكنيسة تدعو أمراء الاقطاع في أوروبا، للقيام بأعمال حربية خارجية على شكل حملات صليبية. (٤٢) واستغل البابا أوربان الثاني مسألة التخلص من الذنوب والخطايا، ومن سار على نهج ومدرسة البابا جريجوري السابع في تحويل الحرب ضد المسيحيين إلى حرب مقدسة ضد المسلمين، فقد أشار كبير أساقفة كاتدرائية مدينة ريمسRheims)) (٤٣) في أواخر القرن الحادي عشر، إلى الدعوات المبطنة نحو العمل العسكري ضد المنشقين، والحث على استخدام القوة

---

(٣٩) ماستناك، السلام الصليبي، ص 93 .

(٤٠) بالار، ميشيل، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني في القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر؛ ترجمة :بشير السباعي، عين للدراسات، القاهرة، 2003م،ص ٣٤.

(٤١) Tyerman, Christopher, the crusades A (very short introduction, oxford university press, new york, 2005, p. 14

(٤٢) زكار، سهيل، ، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية (أوروبا في العصور الوسطى ومراحل وقائع الحروب الصليبية)، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية؛ تأليف وتحقيق و ترجمة : سهيل زكار، دمشق،1995م، ج3، ص 1182.

(٤٣) ريمس: مدينة محصنة تقع في شمال فرنسا. أنظر:مجموعة باحثين، الموسوعة العربية العالمية، ج١١،ص٤٦٢.

من أجل التخلص من الخطايا والذنوب، واعتبر حمل السيف الطريقة الوحيدة للوصول إلى مدينة القدس(٤٤).

وكان للكوارث الطبيعية التي ظهرت في أوروبا قبيل الحملة الصليبية الأولى مثل الزلازل، وسقوط النيازك، وانتشار المجاعات، والأوبئة، الأثر في السيطرة على أذهان الأوروبيين، وعقولهم الذين اعتبروا هذه الظواهر مؤشراً لاقتراب يوم الحساب ورأى البعض " أنها مسيرة إلى لقاء رجوع المسيح على اختتام الزمان " (٤٥) وبهذا يعتبر الحج إلى القدس من منظور المشاركين، رحلة أخيرة لإقامة طقوس التكفير، والعفو الجماعي لأيامهم الأخيرة، فأخذت حملة الحجاج شكلها وطابعها الحربي الذي أراده الحبر الأعظم(البابا(استجابة لأمر الرب.

عسكرة الحج إلى الأراضي المقدسة

تبلورت فكرة الحج إلى الأراضي المقدسة بين المسيحيين في الغرب الأوروبي، وبدأت رحلاتهم إلى فلسطين منذ القرن السابع الميلادي، وكان الحجاج المسيحيون يذهبون قبيل قيام الحروب الصليبية إلى روما، ثم تحولت إلى فلسطين، وسادت الفكرة الغرب الأوروبي خلال القرن الحادي عشر بشكل واسع ، رغم خطورة وطول الرحلة إلا أن الحماس الديني الذي كان وراء زيارة ورؤية قبر السيد المسيح، قد أصبح مطلباً جماهيرياً من الناحية الدينية إلى جانب زيارة كنيستي القيامة في القدس والمهد في بيت لحم. (٤٦)

لقد اخذت فكرة الحرب المقدسة تلوح بالأفق منذ أسطورة شارلمان(ت٨١٤م) في بدايات الهجوم العسكري والمسيحي المتواصل داخل الأراضي الإسبانية، والقائلة إن شارلمان سيفيق من نومه ويعمل

---

(٤٤) Housley, op.cit, p. 20

(٤٥) بالار، الحملات الصليبية، ص 33.

(٤٦) الصوري، الحروب الصليبية، ج1،ص 173-174؛ ماستناك، السلام الصليبي، ص 59-60.

على تحرير القدس، فالذكريات عن شارلمان والأساطير التي التصقت باسمه ألهبت الحماس المتزايد نحو قيام الحرب المقدسة الجديدة. (٤٧)

وجذور الفكر الصليبي الديني تعود للحملات التي قام به الإمبراطور نقفور فوقاس(٣٥٢- ٣٥٨هـ/ ٩٦٣-٩٦٩م(وقادته على بلاد الشام، وقد جسدها نقفور بالواقع الحي عندما أعلن عن نيته بالوصول إلى بيت المقدس لتحريره من أيدي المسلمين، لدرجة الاعتقاد بأن الأمر يندرج تحت مسمى الحروب الصليبية، وهذه الشعارات لم تتجاوز الدعاية السياسية من أجل إثارة اهتمام أتباعه وكسب تأييدهم العسكري(٤٨) لضبط نفوذه على الديار الإسلامية، فكان همه هو قصد بلاد الشام والاستيلاء عليها، وقد تم له ما أراد بأن أشغل ملوك الإسلام ببعضهم" فكان يقصد سواد البلاد فينهبه، ويخربه، فيضعف البلاد فيملكها". (٤٩)

وقد قدم المؤرخ الأرمني رسالة جسّد مضمونها بدايات الفكر الصليبي البيزنطي برفع راية الصليب، وتضمنت أخبار انتصارات حملة الإمبراطور البيزنطي يوحنا تزيميسكس(Zimisces) عام ٩٧٣م على سواحل بلاد الشام، والوصول إلى حدود بيت المقدس، مستغلاً الدعاية الدينية، وفكرة الحرب المقدسة لكسب التأييد العسكري كما نهج سلفه نقفور؛ وقد اعتبر الرهاوي حملات أباطرة بيزنطة البدايات الأولى التي

---

(٤٧) الرويضي، محمود، رسالة الإمبراطور البيزنطي يوحنا تزيمسكس إلى الملك الأرمني أسشود الثالث تجسد بدايات فكرة الحرب الصليبية، دراسات، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، م 37، ع2، 2010م، ص 331.

(٤٨) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني، الكامل في التاريخ ، دار الفكر، بيروت ، د .ت، ج7، ص 320؛ الرويضي، رسالة الإمبراطور، م 37، ع2، ص 332.

(٤٩) الرهاوي، متى، تاريخ متى الرهاوي، الإفرنج، الصليبيون، المسلمون، الأرمن؛ ترجمة :محمود الرويضي ، دار حمادة للنشر والتوزيع، إربد، 2009، ص٣٥ وما بعدها؛ أنظر التفاصيل :الرويضي، رسالة الإمبراطور، م 37، ع2،ص 332 وما بعدها.

جسدت فكرة الحرب الصليبية، وأخذت صفة الحرب الدينية، ورفعت راية الصليب قبل الحملات المتعارف عليها بين المؤرخين. (٥٠)

وقد شهد عهد البابا جريجوري السابع فكرة إعداد حملة عسكرية للشرق الإسلامي، وقد اتضح ذلك من خلال الرسالة التي بعث بها إلى الإمبراطور الألماني هنري الرابع (Henry IV) (١٠٥٦-١١٠٥م)، ضمّنها خطته المتمثلة بقيادة حملة عسكرية لمساعدة البيزنطيين بعد هزيمتهم في معركة (ملاذكرد)، سنة ١٠٧١م، واقترح فيها الذهاب لإنقاذ القدس، إلا أن هذا الاقتراح قصد به الحج والتكفير الذي يتجسد في فكر البابا أوربان الثاني فيما بعد(٥١)، فكان للحج دور كبير في جعل الحملة الصليبية، نابعة من استمرار

رحلات الأوروبيين الدينية إلى بيت المقدس، وتولّدت فكرة إخضاع الأراضي التي شهدت ظهور المسيح تحت سيطرتهم، فالحماس الديني جعلهم يتحملون عناء الرحلة الطويلة ومخاطرها من أجل زيارة القدس، ورؤية القبر المقدس، وقتال المسلمين، واستعادة كنائس الشرق؛ وأصبحت هذه الفكرة مطلب الجماهير المسيحية التي بلغت ذروتها في الحملة الصليبية الأولى بوصفها أوسع الحجات الجماهيرية في القرن الحادي عشر الميلادي. (٥٢)

وكان البابا اوربان الثاني قد طالب أبناء المسيح في خطبته تأدية القسم على الصلاة في كنيسة القيامة واعداً إياهم بالغفران عن جميع الخطايا والذنوب(٥٣)، فأقسم الجميع بالإجماع، وبدأ وكأنه الإنجاز الحرفي

---

(٥٠) ماستناك، السلام الصليبي، ص 103.

(٥١) الصوري، الحروب الصليبية،ج1، ص 173.؛ France, op.cit, p.8

(٥٢) الصوري، الحروب الصليبية، ج1، ص 174؛ ، قاسم، عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية،)الأيديولوجية، الدوافع، النتائج (المجلس الوطني للثقافة، 1990، ص 27؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية؛ ترجمة :السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1981م، ص 147، 173، 182؛ ماستناك، السلام الصليبي، ص٦٠.

(٥٣) الصوري، الحروب الصليبية، ج١، ص ١٧٤ ماستناك، السلام الصليبي، ص 65.

لما هو مكتوب في توثيق طوبيا" *يا أورشليم مدينة الله .... يزورك الأمم من الأقاصي بقرابينهم... وجميع شعوب الأرض لك يسجدون... ويعتبرون أرضك أرضاً مقدسة، لأنهم فيك يدعون الاسم العظيم". (٥٤)

وهذا يدل على تسييس تدّين العامة من قبل البابوات و رجال الكنيسة والقساوسة واستغلاله لتعطيل فرص التفكير لدى الشعوب المسيحية(٥٥)، وزيادة الجهل والأمية التي اتسمت بها عقول الكثير من أبناء الغرب الأوروبي. الأمر الذي دفع البابا أوربان الثاني إلى استغلال الظروف، والدعوة إلى قيام حملة حج مسلحة، خاصة بعد أن تبلورت فكرة الحرب الصليبية في مجمع كليرمونت (Council of Clermont) سنة ١٠٩٥م، و خرجت الفكرة تحت عنوان (عسكرة الحج)، مضافاً إليها طابع القداسة البابوية بعد أن غذّتها قصص الحجاج الأوروبيين العائدين الذين تحدثوا عن مدى ثراء الشرق، يقول البابا أوربان الثاني: " من يذهب إلى القدس للورع فقط وليس للحصول ، على الأموال، لتحرير كنيسة الرب قادر على إحلال هذه الرحلة لكل الكفارات"، فاختلطت فكرة الحج بفكرة الحملة الصليبية قبل انطلاقها، وتبلورت في تجسيد الحرب الدينية الصليبية. (٥٦)

وكانت الحملة الصليبية الأولى ومنذ بدايتها رحلة حج مصحوبة بالتكفير عن خطايا المشاركين فيها، وكان في فكر البعض منهم أن وجودهم في الحملة سيعمل على غسل ذنوبهم وتجنيبهم العقوبة الربانية،

---

(٥٤) الصوري، الحروب الصليبية، ج1، ص ١٧٤.

* طوبيا: هو من الأسفار التي اعترفت بها الكنيسة الكاثوليكية سنة ١٥٤٦م، وفيه خطب وصلوات ونبوءات، وفيه وصف لحفلة زواج طوبيا من سارة. انظر: شلبي، احمد، مقارنة الأديان، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ٢٢٤.

(٥٥) الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص 174؛ محمود، علي عبد الحليم، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، دار التوزيع ، القاهرة، 1993م، ص ١٠٨.

(٥٦) الصوري؛ الحروب الصليبية، ج1، ص١٦٢ – ١٦٣؛ زكار، الموسوعة الشامية، ج3، ص 1182؛ قاسم، ماهية الحروب، ص 28 – 27؛ ماستناك، السلام الصليبي، ص67 -66 ؛ Tyerman,op.cit,p.13.

لا سيما تلك الخطايا المقترفة بسبب الجرائم الجنسية(٥٧). ومما لاشك فيه أن القديس بطرس الناسك (Peter The Hermit) الذي قدم إلى فلسطين حاجاً، قد استغل عند عودته إلى أوروبا، ما حدث في سنة ١٠٩٣م للحجاج الغربيين،عندما منعهم أهل السواحل العبور إلى بيت المقدس (٥٨)، واستخدامه كسلاح في تنشيط ادعائه الكنسي، وتحميل الحادثة أكثر مما تحتمل، واستغلالها لملء صدور أبناء الغرب الأوروبي بالأحقاد الدينية والكراهية على أبناء الأمة الإسلامية في بلاد الشام، وقد نقل صورة غير واقعية عن الحادثة وهوّل أمر أبناء الملّة المسيحية في الشرق، وذكر وقائع غير حقيقية عن أوضاعهم في المجامع الكنسية لإشعال نار الحروب الصليبية الأمر الذي دفع البابا أوربان الثاني إلى وصف معاناة المسيحيين في الشرق، بناء على ادعاءات بطرس الناسك، وطالب من أتباعه التعبير عن صدق نواياهم بمد يد العون والمساعدة لأبناء جلدتهم من المسيحيين الشرقيين وتخليصهم على الفور من الحكم الإسلامي. (٥٩)

لم ينظر أبناء الغرب إلى بعد المسافة ما بين الغرب والشرق، فقد رسخ في عقولهم عقيدة دينية مليئة بالأحقاد أسكنها رجال الدين في نفوسهم، وجعلوها مدعاة لاطمئنانهم لغفران خطاياهم، وآثامهم، متجاهلين ما سيصيبهم من الجوع والعطش بسبب حرارة الصيف وبرودة الشتاء، هذا فضلاً عن الأوبئة والأمراض التي ستلحق بهم أثناء رحيلهم إلى الديار المقدسة، وبخاصة بعد أن صنّف البابا أوربان الثاني عملهم في سجل خدمة المسيح،والمصالحة مع الله، والدفاع عن الإيمان المسيحي، وأن من يموت في تلك المعارك سينعم بالسعادة الأبدية، وسيحصل على مجد يعلو فوق مجد الدفاع عن الوطن. (٦٠)

---

(٥٧) A. Brundage, James, Prostitution, Miscegenation and sexual purity, crusade, and settle ment, W. Edbury, University college, Cardiff press Cardiff, 1985 p.57

(٥٨) الشارتري، تاريخ الحملة، ص ٤١-٤٢؛ الصوري، الحروب الصليبية، ج1، ص ١٨٠-١٨٠.

(٥٩) الشارتري، تاريخ الحملة، ص 36.

(٦٠) الشارتري، تاريخ الحملة، ص 36 -35، الصوري، الحروب الصليبية، ج1، ص 174؛ ؛ سميث، الحملة الصليبية، ص 23 -22 .

طرح البابا اوربان الثاني في خطابه طبيعة هذه الرحلة الهادفة إلى تحرير البلاد المقدسة من براثن المسلمين، ووصفهم "بالجنس الخسيس الذي يعاني من الحقارة والانحطاط، وتستعبده الشياطين، والعفاريت على أيدي جنود المسيح الذين يحملون إشارة الصليب رمزاً لإيمانهم واستعدادهم للشهادة" (٦١)، وطالب جنود المسيح من رجال دين وحكام أن يحضّوا الرجال مهما كانت مراتبهم، فرساناً كانوا أم مشاة، أغنياء كانوا أم فقراء، بأن يسارعوا لسحق هذا الجنس، ومد يد العون للمسيحين من سكان بلاد الشام. (٦٢)

إن دعوة البابا اوربان الثاني إلى الحرب المقدسة على شكل بعثة حج كانت مكافأتها إصدار صكوك الغفران من الذنوب والخطايا، فأعلن أن المسيح يأمر بما يلي:" كل من يذهب زاحفاً في البر أو عابراً البحر، أو مقاتلاً الكفار [المسلمين]، أنني أمنح ذلك لكل من يذهب إلى هناك يقصد الديار المقدسة سوف تغفر له كل خطاياه إذا ما واجه حتفه زاحفاً في البر أو عابراً البحر، أو مقاتلاً الكفار [المسلمين]، أنني أمنح ذلك لكل من يذهب مستمداً القوة من السلطة التي وضعها الله فيّ." (٦٣) وما قام به أوربان الثاني لم يختلف كثيراً عما تم الوعد به من قبل البابا الإسكندر الثاني(Alexander II) (1061- 1073) عام ١٠٦٣م، إلا أنه جاء بعد اثنين وثلاثين عاماً، في الوقت الذي تم فيه توضيح وتعزيز تلك الرغبة الأساسية للإصلاح من خلال صراع المناصب، تلك الفكرة التي تحمل في طياتها مسألة الخلاص من عبء الخطايا. (٦٤)

اكتسبت الحرب الصليبية التي دعا إليها البابوات صفة التقديس، وأُطلق عليها (رحلة الحج إلى الأماكن المقدسة)، نتيجة طغيان الروح الدينية على عقول الأوروبيين من خلال التطلع إلى حياة الآخرة، فقدّمها البابا أوربان الثاني على أنها رحلة حج، وأنها نوع جديد من الخلاص،

---

(٦١) الشارتري، تاريخ الحملة، ص 13، 36.

(٦٢) الشارتري، تارخ الحملة، ص 36.

(٦٣) الشارتري، تاريخ الحملة، 36.

(٦٤) ماستناك، السلام الصليبي، ص 91 ;france, op.cit, P. 10 .

وسلوك الدروب المؤدية إلى السماء من أجل الحصول على السعادة التامة وغفران الذنوب والدليل على ذلك تلبية الحجاج رغبة البابا بوضع الصليب كإشارة للخلاص على أثوابهم. (٦٥)

وما يؤكد أن الحملة اخذت الطابع الديني ما أقرّه الأشخاص الذين شاهدوا أحداث الحملة وسجلوها وأطلقوا مسميات عليها تضمّنت المفهوم الديني للحملة الصليبية، فقد أطلق فوشيه الشارتري(٦٦) fulsher Of Chartre شاهد عيان لأحداث الحملة الصليبية الأولى على كتابه اسم " أعمال الفرنجة،حجاج بيت المقدس" Gesta francorum Iherusalem Pergrinatium وكذلك المؤلف النورمندي المجهول (٦٧) المرافق للحملة ايضا، أطلق على كتابه اسم "أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس" Gesta Francorum .Et Aliorum Hieosolimitanorum ، ولهذا استجاب الكثير من أبناء الغرب الاوروبي لدعوة البابا ، في المشاركة بالحملة الصليبية الأولى التي اكتست بثوب ديني عن طريق الحج بأعداد كبيرة الى بيت المقدس. (٦٨)

إن المفهوم التقليدي للحرب المقدسة التي شنّتها البابوية على أعداء الكنيسة من المسيحيين، اختلفت عن تلك العقيدة الصليبية التي وجدت لدى البابا أوربان الثاني، فقد جسّدها في الحرب المقدسة تجاه أعداء المسيحية من المسلمين، واشتملت عقيدته على مفاهيم وأفكار ثورية ليس لها علاقة بالقانون الكنسي(٦٩)،وقد تمخض عنها إعلان الحرب الصليبية على المسلمين، وأكد ذلك البابا أوربان الثاني بقوله: " دع أولئك الذين اعتادوا على شن حروبهم الخاصة بطيش على المؤمنين، أن يزحفوا

---

(٦٥) الصوري، الحروب الصليبية، ج1، ص ١٧٤ – ١٧٥ ؛ باركر، أرنست، الحروب الصليبية؛ ترجمة :السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، 1990، ص 10 -9؛ سميث، الحروب الصليبية، ص 11، ١٣-١٤؛ بالار، الحملات الصليبية، ص .3؛ ماستناك، السلاح الصليبي، ص ٦٠.

(٦٦) الرويضي، امارة الرها الصليبية، مطبعة البهجة، اربد، ٢٠٠٢م، ص٢٠.

(٦٧) الرويضي ،امارة الرها ،ص٢٥.

(٦٨) france, op.cit,p.2

(٦٩) Gilchirist, John, the Erdman Thesis and the canon law, 1085 – 1141, Crusade and settlement, peter. W Edbury, University college Cardiff press, Cardiff, 1985, p38.

على الكفار بحرب تبدأ الآن ولا تنتهي إلا بالنصر ، دع أولئك الذين حاربوا في الماضي ضد إخوانهم يحاربون ضد البرابرة".(٧٠)

أثر معركة ملاذكرد عام 1071م على تطور فكرة الحملة الصليبية في الغرب الأوربي

ظلت مسألة إخضاع الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية تحت زعامة بابا روما، قائمة لدى الكنيسة الكاثوليكية من حين لآخر، إلا أن النزاع الذي استحكم ما بين إمبراطور بيزنطة وبابا روما، جعل من المتعذر القيام بمحاولة جادة من أجل توحيد الكنيستين الشرقية والغربية، بعد انفصال الكنيستين عام ١٠٥٤م و جاءت فرصة دمج الكنيستين تحت زعامة البابا، بعد الهزيمة القاسية التي لحقت بالبيزنطيين في معركة ملاذكرد سنة ١٠٧١م قرب بحيرة فان (Van Lake) (٧١) في آسيا الصغرى(٧٢) أمام السلاجقة المسلمين، حيث استطاع السلطان ألب أرسلان (١٠٦٤-١٠٧٢م) تحقيق الانتصار على الإمبراطور البيزنطي رومانوس ديوجين الرابع (Romanus Diogenese IV) الذي اعتلى عرش الإمبراطورية البيزنطية عام ١٠٦٧م، والتمكن من أسره. (٧٣) وتوغل السلطان الب أرسلان في مناطق أسيا الصغرى وبلاد الشام، وأخضع مدن أنطاكية(٧٤)

---

(٧٠) الشارتري، تاريخ الحملة، ص 36.

(٧١) بحيرة فان: بحيرة تقع في شرق تركيا، ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر حوالي(١,٦٤٦) ومساحتها نحو (٣,٧٣٨) أنظر: البعلبكي، موسوعة المورد، ج١٠، ص ٧٤.

(٧٢) الرويضي، محمود محمد؛ العمايرة، محمد نايف، معركة ملازكرد (جانب من العلاقات السلجوقية البيزنطية)، مجلة المنارة، جامعة آل البيت، ع ١، مج١٣، 2006م، ص ٥.

(٧٣) الصوري، الحروب الصليبية، ج1، ص ١٥٨،٣٩؛ كومنينا، آنا، ألكسياد؛ ترجمة :حسن حبشي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004م، ص ٣٥-٣٩؛ زكار، الموسوعة الشامية، ج3، ص 1177؛ الرويضي، العمايرة، ملاذكرد، ع1، مج 13،ص 13.

(٧٤) أنطاكية: هي قصبة العواصم في الثغور الشامية، وموصوفة بالحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة أشجارها من الفاكهة، ولها سور عظيم يحتوي على ثلاثمائة وستون برج: أنظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٩، ج١، ص ٢٦٦.

ونيقية[٧٥] وغيرهما .وكشفت معركة ملاذكرد عن أوضاع الإمبراطورية البيزنطية المتردية عسكرياً واقتصادياً، حيث دفعت الإمبراطور (ميخائيل السابع) إلى طلب الإغاثة من البابا (جريجوري السابع)، خوفاً على مناطق الأناضول التي كانت تفوق بيت المقدس أهمية بالنسبة للبيزنطيين، مقابل اتحاد الكنيستين الشرقية والغربية، ذلك المشروع الذي ظهر إلى حيز الوجود في عهد الإمبراطور البيزنطي الكسيس كومنين(Commnen (Alexius) (1081- 1118). [٧٦]

استجاب الكسيس إلى النداء البابوي، والمشاركة في الحملة الصليبية الأولى المتجهة إلى بلدان الشرق تحت شعار محاربة المسلمين، وحماية البيزنطيين، واسترداد الأراضي المقدسة، والعمل على رأب الصدع والانشقاق الذي استمر أكثر من أربعين عاماً ما بين الإمبراطورية البيزنطية والغرب الأوروبي. [٧٧]

وكانت الرغبة عند الإمبراطور الكسيس كومنين مرافقة الحملة الصليبية الأولى من أجل القضاء على السلاجقة، ثم تخلّى عن هذه الفكرة بسبب ضآلة الجيش البيزنطي المشارك، مقارنة بالأعداد الفرنجية المشاركة في الحملة ، بالإضافة إلى انزعاجه من الحشود الصليبية التي جاءت من الغرب الأوروبي ، وأقامت لها إمارات في الاراضي البيزنطية بعد ذلك ، مع إنه لم يطلب سوى قوة صغيرة من المرتزقة المأجورين. [٧٨] واكتفى بإرسال مندوب عنه لتنفيذ شروط الاتفاق بينه

---

(٧٥) نيقية: مدينة من أعمال استانبول على البر الشرقي. أنظر: الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٣٣٣.

(٧٦) كومنينا، ألكسياد، ص 113؛ الصوري، الحروب الصليبية، ج1، ص ٣٩، ٤٦، ١٥٨ ؛ Tyerman, op.cit, p.19,21; the crusades, http://www.wikipedia.org.p.1,3,4,

الكسيس كومنين(١٠٧١-١١١٨م): هو الابن الثالث لوحنا كومنينوس، تمكن من الوصول الى عرش الامبراطورية البيزنطية سنة ١٠٧١م، وساهم في طرد النرمانديين من أراضي الامبراطورية، وهزم البشناق سنة ١٠٩١م، خلفه في الحكم ابنه الكسيوس كومنين الثاني. انظر:نيكول، دونالد، معجم التراجم البيزنطية؛ ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة، القاهرة،٢٠٠٣م،ص ٧٦-٧٧.

(٧٧) كومينا، ألكسياد، ص 415، ٤١٨ ;Tyerman, op.cit,p.21

(٧٨) كومنينا، ألكسياد، ص 418؛ نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ص ٧٦ ؛ Powell, James M., The

وبين قادة الحملة الصليبية. خاصة و أنه كان بأمس الحاجة للمساعدة العسكرية من روما لاستعادة السيطرة البيزنطية على مناطق آسيا الصغرى وشمال سوريا، بعد موت السلطان السلجوقي ملك شاه(٧٩)عام ١٠٩٢، وتفكك مملكته في بلاد الشام والعراق، الأمر الذي جعل الإمبراطور يتغاضى عما فعله الإفرنج ، في أراضي دول البلقان* من سفك دماء القوات البيزنطية (٨٠)، وتمكن من استمالة أمرائهم إلى جانبه، حتى يتسنى له إعادة الأراضي البيزنطية من أيدي العرب والأتراك السلاجقة(٨١)، وهذا ما تم الاتفاق عليه مع قادة الحملة الصليبية الأولى بعقد يمين الولاء ، مقابل أن يقدم لهم خدمات مادية، وإرشادهم عبر طرق الأناضول وشمال سوريا. (٨٢)

صورة مسيحيي الشرق في أوروبا وأثرها في انبعاث الحملة الصليبية الأولى

Crusades, The Kingdom of Sicily And The Mediterranean, A shgate publishing company, Barlington, USA,2007,p.4.

(٧٩) ملك شاه: هو السلطان السلجوقي جلال الدولة أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان محمد بن داود بن سلجوق. تسلطن بعد موت أبيه سنة ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م. وكان مملكته تضم جميع بلاد ما وراء النهر وبلاد الهياطلة وبلاد الروم والجزيرة والشام. وكان يلقب بالسلطان العادل. انظر: ابن تغري بردي، يوسف الأتابكي، النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ج٥، ص ١٣٢- ١٣٣.

(٨٠) زكار، الموسوعة الشامية، ج3، ص١١٨٦ ; Tyerman, op.cit, P.21.

* البلقان : وهي شبه جزيرة تضم دول بلغاريا واليونان ورومانيا وتركيا ورومانيا ويوغسلافيا والبانيا للمزيد انظر : Encylopaedia Britannica, Vol. 1. P. 760

(٨١) جبران، نعمان محمود، المصادر الأرمنية وأهميتها حولّية مَتَّى الرهاوي أنموذجا، مؤتمر بلاد الشام في فترة الصراع الإسلامي الفرنجي، مطبعة جامعة اليرموك، اربد، 2000م، ص.108

(٨٢) الصوري، الحروب الصليبية، ج1، ص 243؛ الشارتري، تاريخ الحملة ص 45؛ جيل، ريموندا، تاريخ الفرنجة (غزاة بيت المقدس) ؛ ترجمة :حسين عطية، دار المعرفة المصرية، الإسكندرية، 1989م، ص70؛ الرويضي، محمود محمد، إمارة الرها الصليبية، مطبعة البهجة، إربد، 2002م ، ص 182؛ 363 Ostrogorsky, George History of the Byzantine,Basil Black well, padstow , 1968 ; p.

أشار أحد من المؤرخين في الغرب الأوروبي إلى سوء أوضاع المسيحيين الخاضعين تحت سلطة الدولة الإسلامية في الشرق خلال العصور الوسطى، وذكر ما تعرضوا إليه من اضطهادات وحشية. هذا فضلا عن تخريب كنائسهم، وإغلاق أديرتهم، فأصبح من المتعذر عليهم ممارسة طقوسهم الدينية المعتادة خاصة في أوقات الأعياد المقدسة ،بالإضافة إلى عمليات التعذيب البدنية و موت الكثير من المسيحيين، في ظل المعاملة السيئة لهم من قبل حكام الديار الإسلامية (٨٣) . وعانى مسيحيو الشرق، في عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٩٩٦-١٠٢١م) نتيجة معاملته السيئة تجاه أهل الذمة في مصر وبلاد الشام(٨٤). إذ أمر بتدمير كنيسة القيامة عام ٤٠٢هـ/ ١٠٠٢ م(٨٥)، على يد والي الرملة ياروق (Yaruk) (٨٦)، ثم هدم الكنائس في مصر. و كان الخليفة الفاطمي قد أقدم على فعلته هذه لأجل إثبات إخلاصه لأهل دينه، والمحاولة في التخلص من اسمه المسيحي (الوزغة) الذي كانوا ينادونه به، كما أمر بهدم كنائس أخرى في مدينة القدس، ومصادرة كنوزها، ثم لاحق الرهبان، وأصبح مصدر خطر وإزعاج للكثير من المسيحيين عامة، فدفع البعض إلى إعلان إسلامهم(٨٧).

---

(٨٣) الصوري، الحروب الصليبية، ج1، ص١٤٧– ١٤٩.

(٨٤) الذهبي ، أعلام النبلاء، ج15، ص 174؛ ؛ زكار الموسوعة الشامية، ج3، ص 1163؛ الصوري، الحروب الصليبية، ج1، ص ١٤٦– ١٤٧؛ http://www.wikipedia.org,p.4؛ The crusades

(٨٥) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج4، ص 74؛ الذهبي، أعلام النبلاء؛ ج15،ص 174؛ ابن إياس الحنفي، محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور؛ تحقيق :محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ط2، 1982، ص200؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص 177؛ Marguerite Gantier- Van Berchem and solangeory,Muslim Jerusalem, Fondation Max Van Berchem, Geneve, 1982,p.13

(٨٦) ياروق: أحد ضباط الخليفة الفاطمي الحاكم بأمرالله ،عينه في ولاية الرملة، واوكل اليه مهمة تدمير كنيسة القيامة.أنظر: الصوري، الحروب الصليبية،ج١،ص١٤٧.

(٨٧) الذهبي، أعلام النبلاء، ج 15، ص 174؛ الصوري، الحروب الصليبية، ج1، ص 147-150.؛ابن المقفع ساويرس،تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية؛ تحقيق: يسى عبد المسيح وآخرون، جمعية الاثار القبطية ،القاهرة ،١٩٤٨،مج٢،ج٢،ص١٢١

وكان قد حصل تقارب في العلاقات بين الفاطميين والبيزنطيين ابتداءً من سنة (٣٨٧هـ ٩٩٧/م) [٨٨]،وتمخض عنها التوقيع على معاهدة الصلح بين الطرفين، حيث وافق الفاطميون على إعادة إنشاء ما هدم من الكنائس، بالإضافة إلى ترميم كنيسة القبر المقدس. [٨٩]

إن إساءة الخليفة الفاطمي لنصارى مصر والشام، لا تعد سياسة الدولة الإسلامية على مر التاريخ، فسياسة الحاكم بأمر الله كانت قد تجاوزت المسيحيين وصب سخطه على رعيته من المسلمين، فلم يسلم الصحابة رضوان الله عليهم، فأمر بسبهم وكتابة ذلك على أبواب المساجد والشوارع، وارتكابه للكثير من المجازر في حق النساء المسلمات[٩٠]. فكانت تصرفاته الخاطئة قد طالت أبناء الرعية من المسلمين وأهل الذمة على السواء. وإذا أخذ بعين الاعتبار وتبرير معاملة الحاكم بأمر الله السيئة للمسيحيين، فإن حكامه من المسيحيين قد أساءوا التصرف في إدارتهم مع المسلمين، وميزوا في المعاملة أبناء جلدتهم عن المسلمين، لدرجة تذمر المسلمين من سياستهم والخروج عليهم، والاحتجاج على

---

(٨٨) ابن القلانسي، أيو يعلي حمزة بن أسد، تاريخ ابن القلانسي، مطبعة اليسوعيين، بيروت، 1908، ص 55- 52؛ عقلة، عصام مطصفى، السفارات المتبادلة بين السلاجقة والبيزنطيين في عهد طغرلبك، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، الجامعة الأردنية، ع2، مج2، 2008، ص 63

(٨٩) زكار، الموسوعة الشامية، ج3، ص ١١٦٤-١١٦٥؛ الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص147، 150؛ ماستناك، السلام الصليبي، ص ٥٢-٥٣.

- اتفق البيزنطيون مع الفاطميون على توقيع معاهدة السلم والصداقة في سنة ٣٨٩هـ/٩٩٩م، وتم التصديق عليها في القاهرة بين الطرفين في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله، وكان من بنودها: ان يتمتع الروم في جميع أنحاء الدولة الفاطمية بالحرية الدينية ، و يسمح لهم بتجديد كنائسهم، وكانت مدة المعاهدة عشر سنوات. انظر: الانطاكي، يحي بن سعيد، تاريخ الانطاكي؛ تحقيق: عمر تدمري، مطبعة جروس برس، طرابلس، ١٩٩٠م،ص ٢٤٨؛ محمود، سلام شافعي، أهل الذمة في مصر، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٢٦٤-٢٦٥.

(٩٠) المقريزي ،المواعظ والاعتبار ،ج٤ ،ص٧٤-٧٥.

الحاكم بأمر الله الأمر الذي دفعه لتغيير سياسته مع المسيحيين ومن ولاهم المناصب الإدارية. (٩١)

ساءت أحوال المسيحيين في مناطق أسيا الصغرى، والشام، في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، وأخذت بالانحطاط تحت حكم السلاجقة، نتيجة الصراع الطويل مع الإمبراطورية البيزنطية. (٩٢) و أضفى بعض المؤرخين الأوروبيين وعلى رأسهم متَّى الرهاوي (Matthieu D'Edessa) بعداً دينياً على قيام الحملة الصليبية، وقدوم قواتها إلى الشرق من أجل نجدة المسيحيين، وتحرير المدينة المقدسة، وتخليص قبر المسيح(٩٣).

قال البابا أوربان الثاني عام ١٠٩٥م في خطبته الشهيرة التي ألهبت مشاعر المسيحيين الغربيين، مستغلاً عواطف الحضور لإثارتهم وحقنهم بالأحقاد والكراهية على المسلمين، وبث روح التعاطف مع إخوانهم المسيحيين في الشرق، فقال: " إن محنة لا تقل، بل تزيد، عن التي ذكرت بل هي أسوأ المحن على الإطلاق، تحيق بالمسيحية في طرف آخر من العالم... وبما أنكم يا أبناء الله قد وعدتموه بأن تحفظوا السلام بينكم وأن تخلصوا في المحافظة على حقوق الكنيسة، فإن عليكم.. أن تؤدوا مهمة ملحة لكم ولله .. تظهرون فيها مدى صدق نواياكم، عليكم أن تسارعوا لمد يد العون لإخوانكم القاطنين في المشرق الذين يحتاجون إلى مساعدتكم.. لأن الأتراك.. قد هاجموهم.. وتقدموا داخل الأراضي الرومانية.. وانتزعوا شيئاً فشيئاً من أراضي المسيحيين وقتلوا وأسروا الكثيرين، وهدموا الكنائس ودمروا مملكة الله... لذا وبصلاة خاشعة، فإنني، لا بل إن الله وليس أنا، يحثكم يا جنود المسيح على أن تحضوا

---

(٩١) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص٢٧٦؛ الذهبي، أعلام النبلاء، ج15، ص174؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون)العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر(، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981، مج 4، ج7، ص 121.

(٩٢) ماير، الحروب الصليبية، ص ٣٢-٣٣؛ France, op.cit, P. 4

(٩٣) تاريخ متى الرهاوي، ص 64؛جبران، المصادر الأرمنية،ص ١٠٨.

الرجال مهما كانت مراتبهم .. أن يسارعوا لسحق هذا الجنس... ويمدوا يد العون للسكان المسيحيين قبل فوات الأوان".(٩٤)

يتضح من قول البابا أوربان الثاني اهتمامه الشديد بأمر مسيحي الشرق وأحوالهم في القدس، ويقدم المؤرخ اللاتيني وليم الصوري صورة مبالغا فيها عن حال المسيحيين في الشرق، إلا أنها الصورة التي أرادها البابا أوربان الثاني أن تصل إلى المسيحيين الغربيين لحضهم على التعاطف مع إخوانهم الشرقيين، وأشار وليم الصوري أن المسيحيين الشرقيين انتابهم الحزن والأسى إزاء تدمير كنائسهم، والضرائب والجزية التي فرضت عليهم ومنعهم من ممارسة شعائرهم الدينية، وإلزامهم بالبقاء في بيوتهم، ورميهم بالحجارة والقاذورات، ومضايقتهم في الأعياد، ومصادرة ممتلكاتهم، وخطف أولادهم وبناتهم، وإجبارهم على التخلي عن المسيحية(٩٥). وأضاف وليم أن أهالي بيت لحم من المسيحيين تعرضوا إلى الإساءات الجسدية، والكثير من الابتزازات، والتهديد دائماً بهدم الكنيسة إذا ما تأخروا في أداء الطاعة، أو تقاعسوا عن دفع الجزية أو الضريبة. (٩٦)

وعانى المسيحيون في المشرق مرة أخرى على يد السلاجقة الأتراك، ولمدة ثمانية وثلاثين عاماً من مصاعب كبيرة، كانت أكثر بكثير من تلك التي حدثت زمن الفاطميين(٩٧) . فقد ارتكب السلاجقة المذابح داخل الكنائس دون احترام الأماكن المقدسة وعملوا على نشر الرعب في قلوب المتعبدين بصيحاتهم وصفيرهم الجنوني، وألحقوا الإهانات برجال الدين، وعلى رأسهم بطريرك القدس"،(٩٨)وبعد إخضاعهم لمدينة القدس سنة ١٠٧٣م قاموا بإصدار أوامرهم العسكرية بهدم الأديرة، والمباني خارج المدينة من أجل بناء السور الخارجي،

---

(٩٤) الشارتري، تاريخ الحملة، ص ٣٥-٣٦ ؛ ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ص 32.

(٩٥) الصوري، الحروب الصليبية، ج1، ص 148

(٩٦) الصوري، الحروب الصليبية، ج1، ص 151

(٩٧) الصوري، الحروب الصليبية،ص ١٥١.

(٩٨) الصوري، الحروب الصليبية، ج1، ص ١٦١-١٦٢.

فألحقوا ضرراً كبيراً، بالأماكن الدينية العائدة للمسيحيين(٩٩)، الأمر الذي أبكى المسيحيين بما فعله السلاجقة في حقهم، وتضرعوا إلى الله بالتأوهات والتنهدات المملوءة بالدموع من أجل الصفح والخلاص وطلب الرحمة. ويشير الصوري إلى استجابة الرب لصلاتهم في انتهاء محنتهم، من خلال استثارة إخوانهم المسيحيين في الغرب الأوروبي تجلّت في إعداد حملة صليبية هدفها إنقاذ أتباع المسيح في الشرق من أيدي أعدائهم. (١٠٠)

إن الوصف الذي تقدم به وليم الصوري لم يمثل حال المسحيين في الشرق وحدهم، وإنما كان حال المسلمين معا لأن الفترة التي تكلم عنها

كانت منطقة بلاد الشام التي تعاني من تفكك إداري وسياسي وتبعي أدى إلى غياب الأمن والاستقرار عن المنطقة،وانتشر قطاع الطرق واللصوص، والفساد وغياب الدولة ونظام الحكم وفرض الضرائب وتحصيلها أكثر من مرة في السنة ، لأن المنطقة كانت متذبذبة في ولائها، فتارة تخضع للعباسيين وأتباعهم وتارة تخضع للفاطميين وأتباعهم، والآثار السلبية الناتجة عن تذبذب الولاء وتطبيق الحكم، تعود على سكان بلاد الشام عامة دون فئة عن الأخرى. فالضرائب أنهكت كاهل الفلاح المسيحي والمسلم؛ والسلب والنهب للمحاصيل الزراعية طال أراضي المسيحي والمسلم دون فرق؛ وقطاع الطرق واللصوص اعتدوا على المسيحي والمسلم (١٠١) ، والضرائب حُصِّلت أكثر من مرة من المسيحيين والمسلمين، ولم يقتصر الأمر على هذا الحد، فقد هاجر السكان مناطق بلاد الشام مسلمين ومسيحيين، وتركوا بلادهم وأراضيهم بحثا عن الأمان

---

(٩٩) Prawer, Joshua, the Jerusalem the crusader captured a contribution to the medieval l, crusade and settlement, Peter w. Edbury, University College Cardiff press, Cardiff, 1985, p.2-3

(١٠٠) الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج 1 ، ص 162.

(١٠١) المؤلف السرياني المجهول ، الحملتان الصليبيتان الاولى والثانية؛ نرجمة:سهيل زكار،مطبعة الملاح، ١٩٨٤، ج٢،ص٥٠٠؛الرويضي، امارة الرها،ص١٤٨-١٧٨.

والاستقرار(١٠٢)، ولذلك عندما سيطر نور الدين محمود بن زنكي على البلاد أصدر مرسوما يقضي بإظهار حجج الملكية للأراضي بهدف إعادة الناس إلى أراضيهم وتشجيع الزراعة وبث الاستقرار والأمن في المنطقة(١٠٣) ، لذلك فإن المعاملة التي يتكلم عنها وليم الصوري لم تمس فقط أبناء جلدته، وإنما كان الأمر والسياسة عامة على سكان البلاد الشامية مسيحيين كانوا أم مسلمين.وإذا كانت سياسة الحاكم بأمر الله الفاطمي هكذا فهذا لا يعبر عن سياسة حكام الدولة الإسلامية عامة، فقد وجد من راع أهل الذمة وحفظ حقوقهم وسمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية والمدنية دون قيد او شرط (١٠٤) ، حتى أن الحاكم بأمر الله تراجع عن سياسته وسمح ببناء ما أمر بهدمه من الكنائس.

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج الآتية:

١- عاش الأوربيون في الفترة التي سبقت قيام الحملة الصليبية الأولى عام ١٠٩٥م، مرحلة حرجة بسبب سوء الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وغياب الوحدة القومية بين شعوب دول أوروبا الغربية من جهة، وانشغال الملوك والأمراء بحروبهم الإقطاعية التي استنزفت مقدرات البلاد، والكثير من الجماعات البشرية التي استخدمت كوقود للحروب الدائرة في مناطقهم الإقطاعية. الأمر الذي أدى إلى استياء البابا ورجال الدين الكاثوليك من الوضع الراهن في الغرب الأوروبي، على الأباطرة والملوك لتدخلهم في شؤون الكنيسة، خاصة في مسألة تعيين البابا، وأخذت البابوية تعمل ما في وسعها للتخلص من هذه

---

(١٠٢) ابن ميسر،محمد بن علي (ت٦٧٧هـ-١٢٧٨م)المنتقى من اخبار مصر،تحقيق:ايمن فؤاد السيد، مطابع الهيئة المصرية، مصر،١٩٨٥، ص١٢٤.

(١٠٣) مؤلف سرياني رهاوي،ج٢،ص٥١٣-٥١٥

(١٠٤) ابن شداد، محمد بن علي(ت٦٨٤هـ-١٢٨٥م) الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق:دومنيك سورديل ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٥٣م ،ج١،ص٢٠

السيطرة. حيث قامت ببث روح الحماس الديني بين المسيحيين في العالم الغربي ضد الإسلام والمسلمين. واستخدمت عامل الدين من أجل إنقاذ العالم الغربي وخاصة فرنسا التي عانت كثيراً من ظلم النظام الإقطاعي، وأرادت كذلك بسط نفوذها على الغرب الأوروبي بأكمله بعد التخلص من أمراء الإقطاع ومضايقاتهم لها، من خلال إرسالهم في الحملة الصليبية الأولى إلى العالم الإسلامي، وإعطائهم فرصة لتوسيع إقطاعاتهم وتأسيس الممتلكات، وإبراز قدرات فرسانهم العسكرية التي أظهروا براعتهم فيها من خلال حروبهم الإقطاعية في الغرب الأوروبي.

٢- لعب البابوات دوراً كبيراً في تجسيد الروح الدينية في بلدان الغرب الأوروبي، والعمل على إضفاء الطابع العسكري عليها من خلال إرسال جنود محملين بالسلاح على هيئة حجاج إلى الشرق الإسلامي٠

٣-استغلال أوضاع مسيحيي الشرق من قبل رجال الدين مثل بطرس الناسك في تأليب وتأجيج مشاعر المسيحيين الأوروبيين.

٤-انتهاز فرصة ضعف الإمبراطورية البيزنطية بعد هزيمتها في معركة ملاذكرد على يد السلاجقة، والعمل على جمع مسيحي العالم الاوروبي بشقيه الغربي والشرقي من خلال محاولة البابوية استرجاع سلطتها على الكنيسة الشرقية ودمجها بالكنيسة الكاثوليكية، من اجل توحيد الجهود في إعداد حملة صليبية مشتركة نحو العالم الإسلامي بعد هزيمة البيزنطيين في معركة ملاذكرد (١٠٧١م).

٥-الرغبة القوية لدى بابا روما في تحقيق أحلامه في انتزاع الزعامة والسيادة على العالمين المسيحي والإسلامي، بالاستيلاء على القدس والقضاء على الإسلام والمسلمين.

ويمكن القول إن العامل الديني إلى جانب الدوافع السياسية والاقتصادية والاجتماعية كان من العوامل الهامة التي حركت مشاعر المسيحيين في أوروبا، بتحريض من رجال الدين وعلى رأسهم البابا أوربان الثاني، للمشاركة في الحملة الصليبية الأولى، فمن غير المعقول أن تتخلى تلك الجموع الغفيرة من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال عن حياتها ومواطنها، ثم تسلك الطريق الطويل والشاق نحو المشرق لولا

عمق المشاعر الدينية في نفوس هؤلاء ، وحاجة الكثير منهم إلى تغيير أحوالهم الاقتصادية السيئة نحو الافضل.

المصادر والمراجع

١- المصادر العربية

[١] ابن القلانسي، أبو يعلي حمزة بن أسد، *تاريخ ابن القلانسي*، مطبعة اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م.

[٢] ابن إياس الحنفي، محمد بن أحمد، *بدائع الزهور في وقائع الدهور*؛ تحقيق: محمد مصطفى الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ط٢، ١٩٨٢. م

[٣] ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف، *النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة*؛ تقديم، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

[٤] ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، *تاريخ ابن خلدون*، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١. م

[٥] ابن شداد، محمد بن علي،*الأعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة*؛ تحقيق: دومنيك سورديل ،المعهد الفرنسي للدراسات العربية،دمشق،١٩٥٣م.

[٦] المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، *المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار*، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

[٧] ابن المقفع، ساويرس ،*تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية* ؛تحقيق:يسى عبد المسيح واخرون، جمعية الاثار القبطية،القاهرة،١٩٤٨م

[٨] ابن ميسر،محمدبن علي، *المنتقى من اخبار مصر*؛ تحقيق : ايمن فؤاد السيد، مطابع الهيئة المصرية ،مصر،١٩٨٥م.

[٩] الانطاكي، يحيى بن سعيد، *تاريخ الانطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا*؛ تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، مطبعة جروس برس، طرابلس،١٩٩٠م.

[١٠] الحموي،ياقوت بن عبدالله *معجم البلدان* ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،١٩٧٩م.
[١١] الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، *سير أعلام النبلاء*، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.
[١٢] زكار، سهيل ، *مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية* (أوروبا في العصور الوسطى ومراحل وقائع الحروب الصليبية)، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية؛تأليف وتحقيق و ترجمة: سهيل زكار، دمشق، ١٩٩٥م.

٢- المصادر المعربة

[١٣] باركر، أرنست، *الحروب الصليبية*؛ ترجمة: السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٠م.
[١٤] جيل، ريموندا، *تاريخ الفرنجة (غزاة بيت المقدس)*؛ ترجمة: حسين عطية، دار المعرفية، الإسكندرية، ١٩٨٩م.
[١٥] الرهاوي، متى ، *تاريخ متى الرهاوي (الافرنج- الصليبيون – المسلمون – الأرمن)*؛ ترجمة: محمود الرويضي، دار حمادة للنشر، إربد، ٢٠٠٩م.
[١٦] الشارتري ، *تاريخ الحملة إلى القدس*؛ ترجمة: زيادة العسيلي، دار الشروق للنشر والتوزيع، بيروت – ١٩٩٠م.
[١٧] الصوري، وليم ، *تاريخ الحروب الصليبية(الأعمال المنجزة فيما وراء البحار)*؛ ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٠م.
[١٨] كومنينا، آنا ، *الألكسياد*؛ ترجمة: حسن حبشي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م.
[١٩] المؤلف السرياني المجهول ،*الحملتان الصليبيتان الاولى والثانية*؛ ترجمة :سهيل زكار،مطبعة الملاح، دمشق،١٩٨٥م.

٣- المراجع العربية

[٢٠] جوزيف، يوسف نسيم ، *في تاريخ الحركة الصليبية*، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩م.
[٢١] الرويضي، محمود محمد' *إمارة الرها الصليبية*، مطبعة البهجة، إربد، ٢٠٠٢م.
[٢٢] شلبي، احمد، *مقارنة الأديان*، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة،١٩٦٦م.
[٢٣] عاشور، سعيد ، *الحركة الصليبية*، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٧٨. م
[٢٤] عاشور، *أوروبا في العصور الوسطى*، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٩م.

[٢٥] عاشور، فايد، حماد محمد ، *جهاد المسلمين في الحروب الصليبية*، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م.
[٢٦] عبد الحليم، محمود علي ، *الغزو الصليبي والعالم الإسلامي*، دار التوزيع، القاهرة، ١٩٩٣م.
[٢٧] عوض، رمسيس، *الهرطقة في الغرب*، سينا للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٧م.
[٢٨] قاسم، عبده قاسم، *ماهية الحروب الصليبية (الأيديولوجية، الدوافع، النتائج)* ؛ المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ١٩٩٠م.
[٢٩] محمود، سلام شافعي، *أهل الذمة في مصر*، الهيئة المصرية العامة، القاهرة،١٩٩٥م.

٤- المراجع الأجنبية المعربة

[٣٠] بالار، ميشيل ، *الحملات الصليبية والشرق اللاتيني في القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر*؛ ترجمة: بشير السباعي، عين للدراسات، القاهرة، ٢٠٠٣م.
[٣١] رنسيمان، ستيفن، *الحملات الصليبية من كليرمونت إلى أورشليم*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.
[٣٢] رنسيمان، *تاريخ الحروب الصليبية*؛ ترجمة: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ط ٢١، ١٩٨١.
[٣٣] سميث، جوناثان ريلي ، *الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية*؛ ترجمة: محمد فتحي الشاعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.
[٣٤] كانتور، نورمان، *في التاريخ الوسيط (قصة حضارة)*؛ ترجمة: قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والنشر، القاهرة، ٢٠٠١ م.
[٣٥] كينيث، سيتون، *تاريخ الحروب الصليبية*؛ ترجمة: سعيد عبد الله البيشاوي، بيت المقدس للنشر، رام الله، ٢٠٠٤م.
[٣٦] ماستناك، توماس ، *السلام الصليبي (الجماعة المسيحية والعالم الإسلامي والنظام السياسي الغربي*(؛ ترجمة: بشير السباعي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م.

[٣٧] ماير، هانس إيرهارد، *تاريخ الحروب الصليبية*؛ ترجمة: عماد الدين غانم، دار المدى، دمشق، ٢٠٠٩م.

٥- الأبحاث

[٣٨] جبران، نعمان محمود، *المصادر الأرمنية و أهميتها*، حولية متى الرهاوي، مؤتمر بلاد الشام، مطبعة جامعة اليرموك،اربد ،٢٠٠٠م.

[٣٩] الرويضي، محمود ومحمد، رسالة الإمبراطور البيزنطي يوحنا تزيمسكس إلى الملك الأرمني، *دراسات*، الجامعة الأردنية، ع٢، مج٣٧، ٢٠١٠م.

[٤٠] الرويضي، محمود؛ العمايرة، محمد نايف معركة ملاذكرد، *مجلة المنارة*، جامعة آل البيت، ع١، مج ١٣، ٢٠٠٦م.

[٤١] السرجاني، راغب، البابا أوربان الثاني، http://www.islamstory.com .

[٤٢] عقلة، عصام مصطفى، السفارات المتبادلة بين السلاجقة والبيزنطيين، *المجلة الأردنية للتاريخ والآثار*، الجامعة الأردنية ع٢، مج٢، ٢٠٠٨م.

٦- الموسوعات

[٤٣] البعلبكي، منير ، *موسوعة المورد العربية*، دار للملايين، بيروت، ١٩٩٠م.

[٤٤] الزركلي، الأعلام، *دار العلم للملايين*، بيروت، ط٤، ١٩٧١م.

[٤٥] المسيري، عبد الوهاب محمد ، *موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية*، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩م.

[٤٦] *الموسوعة العربية العالمية*، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر، الرياض، ١٩٩٦م.

[٤٧] -The New Encyclopaedia Britannica, International Copyright Union, U.S.A ,1979.

[٤٨] -The Encyclopidia America,Grolier Incorporated,U.S.A , 1986.

[٤٩] -The Crusades http://www.wikipedia.org.

٧- المراجع الأجنبية

[50] A. Brundage, James, Prostitution, Miscegenation and sexual purity in the first crusade, crusade and settlement smail, w. Edbury, University college Cardiff press, Cardiff, 1985.

[51] Christopher Tyerman, the crusades (A very short introduction oxford university press. New York, 2005.

[52] Cowdrey, H. E. J., Martyrdom and the first crusade, and settlement, peter w Edbury, University College Cardiff press, Cardiff, 1985.

[53] France, John, victory in the East: Amilitary history of the first crusade, Cambridge University press, Cambridge, 1994.

[54] Gilchrist, John, the Erdmann thesis and the canon law,1083 - 1141 crusade and settlement, pexer, w. Edbury, University college Cardiff, Cardiff, 1985.

[55] Housley, Norman, Crusades against Christians: their origins and early development, c. 1000- 1216, crusade and Settlement ,peter w. Edbury, University college Cardiff press, 1985.

[56] Marguerite Gantier- Van Berchem and solangeory,Muslim Jerusalem, Fondation Max Van Berchem, Geneve, 1982.

[57] Powell, James M., The Crusades, The Kingdom of Sicily And The Mediterranean, A shgate publishing company, Barlington, USA,2007.

[58] Prawer, Joshua, the Jerusalem the crusaders captured: a conttibution to the medival Topography of the city, crusade and settlement, peter w. Edbury, University college Cardiff press, Cardiff, 1985.

Religious Sentiments Embody First Crusades Campaign

Abdul Muiz Asri Beni Essa
Assistant Professor in Yarmouk Unviersity

Abstract. Religious Sentiments Embody First Crusades Campaign.

This study aims to investigate the extent to which religious spirituality has prompted Christians to launch the First Crusades Campaign. It also intends to elucidate the role of The Papacy in arousing European Christian sentiments and grudges and binding them together aginst Muslims. This has taken the form of organized Crusades inspired by The Papacy, through which pardons were used to ensure that visiting the holy lands could be realized only via military campaigns. This act on the part of popes was only a means of igniting European Christian hatred against Muslims, as well as of exploiting the unfavorable circumstances that the Byzantine empire was going through, following its defeat 1071. the study also sheds light on how the image of the Eastern Christians in Europe during the middle ages aroused the European sentiments and brought about the first crusade.